(١)

ذات يوم دخل الأستاذ أمين الخولى قاعة الدرس وتطلع إلى السبورة لحظات ، ثم بادرنا بسؤال غريب : أى نوع من القضايا هذا الذى ترونه ؟ . . كان موضوع القضايا هو الصراع السياسى بين القيسية واليمنية . ولا أطيل عليك فقد تطوع شاب متعجل وقال : كنا ندرس تاريخ الأدب فى العصر الأموى .

ماتزال هذه القصة القصيرة عالقة بالذهن ، فقد أخذ الأستاذ أمين يقول بطريقته الحادة : هذه القضايا لا علاقة لها بتاريخ الأدب ، كل مايمكن أن أقوله أنكم تدرسون أشياء حول الأدب ، وليست من صميم الأدب فضلا على أن تكون جزءا من تاريخ الأدب . ومنذ تلك اللحظة وقر فى الذهن أن الأمور شديدة الاختلاط ، وأننا نحفل بقضايا هامشية ، ونكثر من الكلام عن ظروف الأدب التى تناقلتها الكتب ، واحتشد لها بعض الكتاب من مثل صاحب الأغانى . وما أيسر ما يقال هذه قصيدة قيلت فى مدح فلان أو رثاء فلان ، أو الدفاع عن الأمويين أو العلويين . والمهم أن الأستاذ أمينا صرخ قائلا أنتم لاتدرسون الأدب ، أنتم مولعون بما يسميه علماء الأصول والتفسير أسباب النزول . كانت صرخة الأستاذ أمين فى ذلك الوقت مبكرة يصعب استيعابها ، فقد جرى العرف على الخلط بين الأدب ، وما حول الأدب ، وتاريخ الأدب ، وبقيت هذه المقولات تتداخل لايتضح بينها دائما قدر أساسى من التمييز . . أضف إلى ذلك أن دراسة الأدب قد تكون جزءا من تاريخ الأدب وربما لاتكون .

وبعبارة أخرى خيل إلى الشباب فى ومضة قصيرة أن الأرض غير ثابتة . . كان الأستاذ أمين يقف بمعزل عن زملائه فى الجامعة . فزملاؤه مشغولون بقضايا المجتمع وصراعه ، يتناولونها بأساليب متباينة ، بعضها يغور فى الأعماق ، وبعضها يقف على السطح ، وكان بعض الزملاء يعنى بتاريخ الأدب الذى أرق أمينا . . كان الأستاذ أمين ثائرا على تاريخ الأدب لأسباب متعددة . كان الاهتمام بتاريخ الأدب يعنى فى نظر أمين أننا عرفنا النصوص معرفة مثمرة ، وحققناها بأسلوب علمى ، ودرسناها درس تمحيص للغتها ونحوها وفقهها الجزئى الدقيق ، وأننا تصورنا دلالة الألفاظ فى حياتها الطويلة ،